عودة الحديث عن الكونفدرالية :

وحدة الطبقات الرجعية في مواجهة الحركات الوطنية والديمقراطية

عشية زيارة سركيس الى دمشق دعت صحيفة « الثورة » السورية الى اقامة اتحاد فيدرالي يضم سوريا ولبنان والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقالت « انه بالرغم من الطابع غير العادي للزيارة فان زيارة سركيس الى دمشق يجب ان تتبعها لقاءات منظمة في بيروت ودمشق وفي عمان ، وفي اي مكان اخر ، سواء اكان مدينة او قرية على اساس اتخاذها كمقر اتحادي » . وتحدثت الصحيفة ايضا عن تشكيل « جيش ووزارات اتحادية للاعلام والتربية » ، وعن تشكيل « مجلس تشريعي اتحادي » .

الاسد والسادات : تنافس على الاستسلام

ان كلام صحيفة « الثورة » ليس الوحيد الذي تناول موضوع الاتحاد هذا ، فقد سبقه وتبعه الكثير من التصريحات المؤيدة او المعارضة للمشروع ، ما يستدعي وقفة امام ما يطرح حول هذا الموضوع ، لتحديد الاسباب الكامنة وراء طرحه في هذه الفترة ، وامكانيات تحقيق هذا المشروع ، ومدى استجابته لمطامح الجماهير الوحدوية ، ودوره في استمرار المؤامرة على الجماهير اللبنانية والفلسطينية .

من المعروف ان شعار الوحدة يعبر عن مشاعر جماهيرنا واحاسيسها القومية العربية ، فضلا عن انه يعبر عن مصالح الكادحين العرب عامة . ومن المعروف ايضا ان هذا الشعار تعرض ، اكثر من مرة ، لترجمته بشكل مشوه وهزيل ،وانهارت عدة تجارب وحدوية ، لافتقادها الى الشروط الاساسية لبقائها ونموها ، وبشكل خاص لتعارض مصالح الطبقات الحاكمة في الاقطار التي نشدت الوحدة فيما بينها ، ولعجز هذه الطبقات عن قيادة النضال من اجل تحقيق هذا الشعار . ولم يكن تلك التجارب الوحدوية ، فضلا عن انها ضروب من اشكال امتصاص نزعة الجماهير العربية العفوية نحو الوحدة ، الا تأكيدا على عجز البرجوازية الصغيرة الصاعدة عن اقامة الوحدة فيما بينها . ومع ذلك استمرت انظمة برجوازية الدولة برفع شعار الوحدة وسائر الشعارات التي اعتنقتها الجماهير .

وفق هذا المنظور لا يزال نظام الاسد يرفع شعارات « الوحدة والحرية والاشتراكية » ويتاجر بها فهو باسم الحرية يزج بالالاف المناضلين في المعتقلات ، وباسم الاشتراكية يعزز نفوذ الرساميل الاميركية وباسم الوحدة يلتقي مع نظام جزار الاردن ويقدم الدعم لجبهة الكفور ، ويقصف بمدافعه وصواريخه مخيمات الشعب الفلسطيني . ومع كل جرائمه التي يرتكبها بحق الجماهير اللبنانية والفلسطينية، يطرح الاسد مشروع الكونفدرالية . وفضلا عن طموحاته التوسعية ، فهو يريد تحقيق عدة اهداف ، يمكن تصنيفها تحت عنوانين : الاهداف التكتيكية والاهداف الستراتيجية .

الاهداف التكتيكية :

١ – تعزيز موقع المساومة

ان النظام السوري الذي خاض حرب تشرين التحريكية ، والذي سار حثيثا على طريق الارتماء بأحضان الامبريالية ، والذي يسعى للاستسلام لدولة العصابات الصهيونية ، ان هذا النظام انما يسلك طريق المفاوضات لاستعادة ما يسمى « الاراضي العربية المحتلة » . والنظام السوري هذا يريد تعزيز موقعه في المفاوضات . فهو يريد ان يوهمنا انه اذا نجح في اقامة وحدة تهيمن عليها سوريا وتضم الاردن ولبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية ، فسيذهب الى طاولة المفاوضات ليفرض شروطه ولينتزع التنازلات من دولة العصابات الصهيونية.

٢ – تطويق الدور المصري

مما لا شك فيه ان كلا من نظام الاسد ونظام السادات ، يطمح بدور قيادي في رحلة الاستسلام واللقاء مع الامبريالية . وفي هذا المجال ، من الطبيعي ان تلاقي خطوات الاسد ونشاطه في لبنان معارضة النظام المصري . ان ذلك لا يعني بشكل من الاشكال ان النظام المصري حريص من موقع وطني على صون الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية . ان موقف مصر يحكمه رغبة السادات في الهيمنة على منظمة التحرير الفلسطينية لاستخدامها كورقة يلوح بها في وجه الامبريالية والصهيونية لا اكثر . ويفكر الاسد بتطويق المعارضة المصرية عن طريق طرح مشروع الاتحاد مع لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية والاردن . بحيث يصبح الغزو السوري للاراضي اللبنانية في منأى عن المعارضة المصرية ، باعتباره مسألة تخص دولة الوحدة ، او الاقطار التي تسعى الى اقامة كونفدرالية فيما بينها .

الاهداف الستراتيجية

١ – ضبط الاوضاع في لبنان

يخشى الاسد كما تخشى مختلف الانظمة العربية الرجعية من نمو الحركة الوطنية اللبنانية وتلاحمها مع المقاومة الفلسطينية ، وما ينتج عن ذلك من احتمالات قيام نظام وطني ديمقراطي على الحدود السورية ، من شأنه ان يؤثر على مجرى التطور في الوطن العربي عامة ، وعلى النظام السوري القمعي ومشاريع التسوية الاستسلامية بشكل خاص لان مثل هذا النظام الجديد يعطي المقاومة الفلسطينية الاطار الذي افتقدته حتى الان اي العمق الاستراتيجي للعمل الفدائي .

لذلك يسعى الاسد عن طريق الوحدة المقترحة الى دعم اداة القمع اللبنانية وتوحيدها مع الاداة السورية ليضمن اعادة النظام الطائفي الرجعي في لبنان ، وليصبح بالامكان تقزيم وتطويع المقاومة الفلسطينية وارغامها على السير في ركاب مخططاته الاستسلامية الخيانية. كما يسعى الاسد الى بناء نواة اجهزة تابعة له في اماكن تواجد قوات الغزو السوري ،بحيث تنمو هذه النواة وتحضر لبنان للالتحاق في فلك النظام السوري مستقبلا ، نستدل على ذلك من اصرار الاسد على تمثيل « جبهة القوى القومية والوطنية » في المفاوضات التي قد تعقد لاعادة النظام ، ومن الاعلان عن ضرورة اشراك ما يسمى « طلائع الجيش العربي اللبناني » في تشكيل قيادة الجيش الجديدة .

٢ – تنازل عن الجولان بغطاء الكونفدرالية

يدرك الاسد اهمية الجولان بالنسبة لدولة العصابات الصهيونية ، ويدرك ايضا انها لن تتنازل ولن تتخلى الا عن بضعة كيلومترات فيه. وبما ان الاسد بات اعجز عن متابعته النضال لتحريره ، ولانغماسه في مستنقع اللقاء مع الامبريالية وفي سياسة الاستسلام وانهاء الحرب مع الصهيونية ، فهو يفتش عن بديل عن الجولان يقدمه للجماهير السورية . وهو لذلك يطرح الكونفدرالية ليدغدغ مشاعر الجماهير الوحدوية وليتنازل عن الجولان لاسرائيل ، على امل الحصول على دويلة فلسطينية يلحقها بدولته وتكون تحت هيمنة النظام السوري .

صعوبات وعقبات

على ضوء هذه الاهداف التكتيكية والاستراتيجية يبدو واضحا ان طموحات الاسد ليست سهلة المنال ، وهي على ضوء العديد من القوى التي لها علاقة مباشرة بها ، لاقت وستلاقي مزيدا من المعارضة والنشاط المضاد . فدون تحقيق اهداف الاسد عقبات صعبة التذليل ، على اكثر من محور ، بدءا من اقرب الحلفاء الى اقصاهم ومن اضعف الخصوم الى اقواهم ، وذلك على الصعيد اللبناني والعربي والعالمي .

● على الصعيد اللبناني

١ – الكفور ، مع التنسيق القمعي فقط .

قد يكون من السهل على جبهة الكفور ان تبرر علاقتها مع نظام الاسد حتى الان ، وتضلل جماهيرها ، بقولها : ان الاسد « اعاد للقومية العربية مفهومها العلمي ، وابعدها عن العصبية الدينية » . وقد يكون من السهل على الجميل وشمعون تفسير لقائهما مع الاسد في حدوده الحالية ، بضرورة خوض معركة « تحرير لبنان » من « الغرباء » ، و « اليسار الدولي » . ولكنه ليس من السهل اطلاقا على زعماء الكفور تبرير تحالف مع نظام عربي يطرح القومية العربية وشعارات الوحدة – بصرف النظر عن مضمونها – امام جماهير وقواعد تربت وتشبعت بايديولوجية طائفية معادية للاسلام والعروبة ومغرقة في اقليميتها وشوفينيتها . ان اقامة الوحدة بين الكفور واي نظام عربي ، ينسف شتى مقولات حزب الكتائب ، التي تتحدث عن « القومية اللبنانية » و « التفوق اللبناني » ، مقابل « التخلف والهمجية لدى العرب » . وبالامس في النبعة كان الجميل – الابن يتحدث عن العرب فيسميهم « العربان » . لقد اضطرت جبهة الكفور ، لاستكمال هجمتها الشرسة ، ولانقاذ ما تبقى لها ، ان تستعين بقوات النظام السوري وان تقبل بغزو الاسد للاراضي اللبنانية ، وهي تستطيع ان تبرر كل ذلك امام جماهيرها ، بحجة ضرورة اعادة النظام اللبناني وتحرير البلد ، وما يعنيه ذلك من اعادة اللحمة للنظام الطائفي الرجعي ، تستطيع جبهة الكفور كل ذلك ، ولكنها لا تستطيع ، وليس لديها الاستعداد والامكانات للذهاب ابعد من ذلك والدخول في مشاريع وحدة مع سوريا وغيرها .

٢ – الجماهير الوطنية : رفض ومواجهة

ان جماهيرنا الوطنية ، التي خبرت اسلوب نظام الاسد في التعامل مع ازمة النظام اللبناني، ادركت بسرعة ان مشروع الكونفدرالية ليس اكثر من حلقة في مسلسل التآمر ، لانه ان طرح على جدول الاعمال ، فذلك بالدرجة الاولى من اجل تصفية حركتها الوطنية والتقدمية وللانقضاض على كافة مكتسباتها . وجماهيرنا تقف بشدة لادانة هذا المشروع ، فضلا عن انها تلاحق قوات الغزو السوري حيث امكنها ذلك .

على الصعيد العربي

يلاقي المشروع السوري معارضة نظام السادات لانه يحد من دوره ويحجم من اهميته واثره في الوطن العربي عامة ، وفي التحكم في مشاريع التسوية الاستسلامية . كما ان نظام الملك العميل في الاردن ، وهو ان رحب بموضوع الكونفدرالية فليعيد لنفسه غطاء عربيا وطنيا بعد العزلة التي لحقت به . ان هذا النظام سيقف من موضوع الكونفدرالية موقفا معارضا فيما بعد ، لان له حساباته الخاصة وطموحاته الشخصية في ضم الضفة الغربية اليه او في ضم الدويلة الفلسطينية الى المملكة .

على الصعيد العالمي

وبدورها ستقف الامبريالية والصهيونية لتعارض اقامة اتحاد من شأنه ان يولد على حدود دولة العصابات الصهيونية ، دولة قوية ، اذا لم يكن باستطاعة احد ان يضمن سلفا استمرارية السياسة المطواعة التي تسلكها الانظمة المرشحة لاقامة الاتحاد الان . وليس في مصلحة الامبريالية والصهيونية مواجهة دولة قوية على حدود اسرائيل ، لان التعامل مع دولة عربية قوية – وان كانت رجعية – اصعب من التعامل معها وهي ضعيفة ومجزأة . فضلا عن ان اسرائيل تطمح بالحاق الفلسطينيين بها من خلال اتحاد معها او اعطائهم ادارة تابعة لنظامها .

معاهدة « امنية » مع النظام اللبناني

واذا كنا نستبعد اقدام لبنان – الكفور على الدخول في اتحاد كونفدرالي مع سوريا او غيرها، فاننا نقر بأنه لا بد من ايجاد شكل لتنسيق ادوار ادوات القمع السورية والكفورية . ومن المحتمل ان يترجم هذا التنسيق ويتبلور بمعاهدة « امنية » قد تعقد بين نظام الاسد وسركيس، لضمان شرعية استمرار بقاء جيش الغزو السوري في الاراضي اللبنانية ، لاستكمال فصول المؤامرة، او قد تجري الامور على غرار ما حصل بين السعودية ومصر والسودان او بين الاردن وسوريا.

الكونفدرالية مشروع « رجعي فاشي »

وبصرف النظر عن امكان تحقيق الكونفدرالية او عدم قيامها ، وبصرف النظر عن موقع وحجم القرى المعرقلة او الداعية للمشروع ، فانه يعتبر بحق ، وعلى ضوء كل ما سبق واوردناه ، دعوة رجعية تآمرية فاشية ، يلجأ اليها النظام السوري لتغطية تآمره ولتضليل الجماهير ، ولاجتياز العقبات العربية التي تحد من طموحاته ومن هنا ، من واجب جميع فصائل حركة التحرر العربية والقوى الديمقراطية العربية والعالمية فضح هذا المشروع ومحاربته . لانه يشكل تأكيدا على رغبة الرجعية العربية والفاشية اللبنانية بمتابعة مخطط المؤامرة ، ولانه يشنوه معنى ومضمون شعار الوحدة العربية في نظر الجماهير العربية .

و « شعار الوحدة العربية بوصفه شعارا سياسيا فهو يرتبط بتصفية الاوضاع القائمة الاستعمارية والرجعية والبرجوازية » (طريق الثورة – العدد – (–) في حين ان المشروع المقترح ، يتضمن وحدة القوى الرجعية لترسيخ الاوضاع الاستعمارية والفاشية ، ولتصفية القوى الوطنية والتقدمية .

جوزف عبدالله